برنامج أنوار كاشفة **الموضوع: الكلام وأهميته (٢)**

كتب سليمان الحكيم في سفر الأمثال قائلا: " **كثرة الكلام لا تخلو من معصية. أما الضابط شفتيه فعاقل.**" (أمثال١٠:١٩) وكتب أيضا يقول: " **لسان الحكماء يحسن المعرفة، وفم الجهال ينبع حماقة.**" (أمثال١٥:٢) وقال المخلص يسوع المسيح: " **من فضلة القلب يتكلم الفم.**" (متى١٢:٣٤)

صديقي المستمع، كنا قد تحدثنا في اللقاء الماضي عن موضوع الكلام الذي نتلفظ به، وبخاصة عن مشكلة الثرثرة والنميمة ومشكلة المراءاة والتكلم على الآخرين من وراء ظهورهم. ولأهمية موضوع الكلام سنتابع اليوم الحديث عنه ومن جوانب أخرى.

هل تدري صديقي أن كلامنا يترك أثرا ليس على الآخرين فحسب بل على نفوسنا أيضا؟ إن ما نتلفظ به إيجابا كان أم سلبا سيترك أثره على نفوسنا وعلى الذين يسمعوننا. ولهذا يصبح مهما جدا أن ننتبه لكلامنا، وأن نحرص لكي يكون بناء ومفيدا لنا أولا، وللآخرين ثانيا. ولكي ندرك مدى أهمية الكلام علينا أن نعود إلى ما دوّنه لنا الرسول يعقوب، أحد رسل المسيحية الأوائل، إذ كتب قائلا:

" **إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضا. هوذا الخيل نضع اللجم في أفواهها لكي تطاوعنا فندير جسمها كله. هوذا السفن أيضا وهي عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها دفة صغيرة جدا إلى حيثما شاء قصد المدير. هكذا اللسان أيضا هو عضو صغير ويفتخر متعظما. هوذا نار قليلة أي وقود تحرق. فاللسان نار. عالم الإثم. هكذا جعل في أعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم.**"

وتابع الرسول يعقوب قائلا: " **لأن كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذلّ وقد تذلل للطبع البشري. وأما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذلله. هو شر لا يضبط مملو سما مميتا. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة. لا يصلح يا إخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا. ألعل ينبوعا ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر. هل تقدر يا إخوتي تينة أن تصنع زيتونا أو كرمة تينا. ولا كذلك ينبوع ماء مالحا وعذبا.**" (يعقوب٣:٢-١٢)

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

لقد وصف الرسول يعقوب بهذه الآيات المقدسة اللسان والكلام الذي يصدر عنه وصفا دقيقا وبالغا. فأكد لنا أن الإنسان الذي يستطيع ضبط كلامه يكون رجلا كاملا، إذ هو في هذه الحالة سيقدر على لجم كل انحراف في جسده أيضا. لأن الذي بإمكانه ضبط كلامه وهو الأمر الصعب، لابد أن تكون لديه الإمكانية لقهر انحرافات الجسد الأخرى أيضا.

وشبّه الرسول يعقوب اللسان باللجام الذي يوضع في أفواه الخيل، وبالدفة الصغيرة التي تقود السفينة. ونستطيع تشبيه اللسان اليوم أيضا بمقود السيارة. وكما نعلم فإنه بالرغم من صغر حجم اللجام فإن بإمكانه قيادة الخيل. كما أن دفة صغيرة بإمكانها توجيه سفينة كبيرة الحجم. هكذا اللسان بالرغم من صغره فهو يقود الإنسان في طريق الخير أو في طريق الشر.

وشبّه الرسول يعقوب اللسان أيضا بالنار القليلة التي تلتهم وقودا كثيرا، هكذا اللسان هو نار يدنس الجسم كله. أجل إن اللسان الذي لا يستطيع صاحبه أن يضبطه لابد أن يدنس جسده كله. والسبب لأن الكلام السلبي أو القبيح لابد أن يعود على صاحبه ويؤثر فيه. فإذا كانت الأفكار التي نفكر بها تؤثر على سلوكنا فكم بالحري الكلمات التي نتلفظ بها؟

وقدّم لنا الرسول يعقوب في ختام هذا المقطع الكتابي الهام، برهانا قويا لكي يدعم حجته، إذ أكد أن اللسان وعلى عكس الطباع الأخرى لا يستطيع أحد أن يذلله. والسبب لأن اللسان شر لا يضبط، مملواء سما مميتا، إذ به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله. وهنا التناقض الكبير الذي يقع فيه الإنسان. نعم هذا هو التناقض الكبير الذي يقع فيه الإنسان، إذ يصدر من فمه الواحد البركة واللعنة، الإيجابي والسلبي، العذب والمر، الجميل والقبيح، وهذا على عكس الطبيعة. فهل رأينا مثلا شجرة تين تخرج زيتونا، أو كرمة تصنع تينا، أو ينبوع ماء مالح يعطي ماء عذبا؟ لكن أليس هذا ما يفعله اللسان يا صديقي؟ فكيف بنا نخرج من هذا التناقض؟

لكن ماذا قال المخلص يسوع المسيح عن هذا الموضوع الهام، أي موضوع اللسان؟ إذا عدنا إلى الإنجيل بحسب بشارة متى، نجد أن المسيح وجه كلامه إلى الفريسيين من اليهود قائلا لهم:

" يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار. فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور." (متى١٢:٣٤و٣٥)

من فضلة القلب يتكلم الفم. هذه هي الحقيقة التي ينبهنا إليها المخلص المسيح. فما يصدر على لساننا ما هو إلا تعبير حقيقي لما يعتمل في قلوبنا وأفكارنا. وبما أن قلوبنا وأفكارنا جميعا شريرة فلابد أن تنتقل إلى ألسنتنا، وهكذا نعجز عن السيطرة عليها، ونقع في التناقض الذي أشار إليه الرسول يعقوب في رسالته.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

هل تدري صديقي المستمع كما تابع المسيح قائلا أيضا: " **أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين.**" (متى١٢:٣٦) أجل إن الله سوف يحاسبنا على كل كلمة بطالة نتلفظ بها. ألا ترعبنا هذه الحقيقة؟ أولا تدفعنا لكي نبحث عن الوسيلة التي نستطيع بها تبديل نفوسنا من الداخل؟ وهكذا يصبح بإمكاننا ضبط ألسنتنا. أليس هذا ما تحدث عنه المخلص المسيح عندما أشار إلى الكنز الصالح في القلب؟

فكيف بإمكاننا الحصول على هذا الكنز الصالح في القلب، الذي يُخرج بدوره الصالحات؟ وهل من الممكن إحلال الكنز الصالح مكان الكنز الشرير؟ والجواب: نعم بإمكاننا إحلال الكنز الصالح مكان الكنز الشرير. وهذا يحصل في اختبار الولادة الروحية الجديدة، وتغيير القلب من الداخل. فعندما يتوب الإنسان عن خطاياه، ويؤمن بفداء المخلص المسيح، يُجري الله أعجوبة تغيير قلبه من الداخل، ويصبح خليقة جديدة. وعندها يستطيع الإنسان الإنتصار على عاداته الفاسدة، وتصبح لديه أيضا الإمكانية لضبط لسانه، فهو قد تحرر من عبوية الخطية. ولهذا نجد الرسول بولس يطلب في رسالته من المؤمنين في كولوسي قائلا:

" وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضا الكل الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله. ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه." (كولوسي٣:٨-١٠)

إذن توجد إمكانية كبيرة لنا لكي نضبط ألسنتنا، ونحل التناقض الكبير الموجود في كلامنا، عندما نأتي إلى الله تائبين، ونولد ولادة روحية ونصبح من أولاد الله. إذ نسعى عندها لكي نعبر عمّا في قلوبنا الجديدة. ألا تود صديقي أن تحصل أنت أيضا على هذا الاختبار المجيد؟ وأن تنتج هذه الثمار الصالحة النافعة؟ تعال إلى الله إذن بتوبة صادقة، ومؤمنا بالمخلص المسيح وعمله الكفاري على الصليب، وقيامته الظافرة من بين الأموات.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service